

المجلد الثاني العربي

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م

الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

١١٠

تصحيفات غريبة

في معجمات اللغة

« فقه مَس وقوقيس وقوق ومقوقس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الالفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضا وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غوبدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدمة للاؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة وينا سنة ١٨٨٦^(١) ومن المعلوم ايضا ان بعض الكتبة لما شغفوا بغريب الالفاظ استخرجوا احيانا تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة . ومن هذا القبيل لفظ الفقه مَس الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالتي هذه الصغيرة ان شاء الله . جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) مانصه^(٢) :

« (الفقه مَس كنه مَس) اعمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

(١) I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, في semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) ما بين هلالين لفظ القاموس .

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً يصوت بكل الانغام والالحن العجيبة المطربة بأقي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد بنوح على نفسه اربعين يوماً ويجمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون (بحسن صوته) ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتندح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالمهدة عليه وقد ذكروه في شرح قوله (والذي حارت البرية فيه) بيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا^(١) فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قوقيس^(٢) ثم ذكر قصته بمثل ما ذكرها الدميري^(٣) وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد نولد منه دود ثم انبت له اجنحة فيطير^(٤) طيراً فيفعل كعمل الاول من الحك والاحترق .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠ في الاسفل) :

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ - ١٦٩٩ م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ - ١٧٥٧ م) صاحب تأليف منها حاشية على القاموس ورحلة مهمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩ - ١١٤٠ هـ (١٧٢٧ - ١٧٢٨ م) .
وقدمردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secoli) (ج ١ سنة ١٩٢٤)
أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤)
ص ١٣٥ - ١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Libia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥) ص ٣٧٥ - ٣٨١) .

(٢) لعله غلط مطبعي بدل قوقيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني . (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره ^(١) في قفيس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

أما نسب وصف القفيس الوارد في القاموس إلى الدميري فسهو ظاهر من صاحب تاج العروس لأن القفيس غير مذكور في كتاب حياة الحيوان الكبير ^(٢) وما قاله الدميري في قوقيس (أو قوقيس كما جاء غلطاً في الطبقات) غير ذلك ومأخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني ^(٣) هذا :

« قوقش ^(٤) طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب ^(٥) هذا الطائر عند التزاوج يجمع حطباً كثيراً للعش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تذاجم النار من حكمهما في ذلك الحطب ويشتعل ويحترقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للقفيس والقفيس في كتابه .
(٢) وعلى كل حال ولو كانت ذكر القفيس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما إذ المؤلفان معاصران فعماش الدميري من سنة ٧٤٥ إلى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزبادي من سنة ٧٢٩ إلى ٨١٧ هـ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüstenfeld, Göttingen 1849 (ج ١ ص ٤٢٣) . وفي الطبقات المصرية من كتاب عجائب المخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقش » بالنون لانه جعله بين القوق والقوقي في كتابه المربى على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalus al - Garnati, Paris 1925

ص ٢٤٠ — ٢٤١ (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) .

يبقى^(١) الدود منه ثم يثبت لها جناح وتكبر فتصير قوقنشا^(٢) كما كانت اصله ثم يفعل ما فعل اصله » .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فن مرثية ابي العلاء المعري لفقيه حنفي مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير^(٣) :

بان امر الاله واخلف النا س فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اختلافاً غريباً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعني به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخوي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه نافذة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني^(٤) . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً ليكون المسند اليه موصولاً^(٥) واتخذ بهده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الفففس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافواح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

(١) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « تولد » او « يتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس « طيراً » . (٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعني بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣ - ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين التفتازاني وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد النصيب شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ .

بلاد الهند اسم فففس يضرب به المثل في البهاض وله منقار طويل وهو حسن الالوان بعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حوايه و يضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح النفاز في المختصر تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له الفففس يضرب به المثل في البهاض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبه على عدد ايام السنة اذا صوته يخرج من كل واحدة منها صوت حسن بعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » .^(١)

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذكور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالهيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣ - ١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجد في الترجمة اللاتينية لفرانسوا الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في ايطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) باسرا الابراطور فريديريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٢٠ من طبعة غوتنبخ) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعمائة سنة و يتزوج اذا اتي عليه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بهضها وجدت لذلك الماء شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره ويحقنها به فيخرج البيض بسهولة فيخصن الذكر البيض والاثنى تمشي تعيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب الفه ابن يعقوب المقرئ بمكة سنة ١١٠٨ هـ .

أما المديري مع كثرة نقله عن القزويني ومع إطالة الكلام في العناء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة للميلاد) لأن أبا الحسن تبرهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي^(١) المؤلف قبيل سنة ١٠٠٠ م :

Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule, ed, R. (١)
 Duval, Pazisiis 1888 - 1896 عمود ١٥١٤ - ١٥١٥ . وعريته كثيرة اللحن كما
 بظهر مما أنقله بدون تغيير لأن اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات
 الموضوعية بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الأصل .
 (٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر
 السرياني سَلَمَة نَدْرَا وهي ما يسمى في كتب العرب السَّحْنَدْر او السَّحْنَدْر او السَّحْنَدْر
 او السَّحْنَدْل او السَّحْنَدْل نقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار و اذا
 انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في البحر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير
 المؤثرة بالنار المحلوبة من أقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة
 ان كل هذه الأنفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لا تبتية
 وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحردون موجود باوربا كان القدماء
 يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجناز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب
 فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهند

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسائة سنة اذا اراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويجعله في مكان ويحترق نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتلش وتسير فتخرج ويصير لها جناحات وبعد سبعة ايام تصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً فنخس .

* * *

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (قَنُوس) او (قَنُوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتها ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قَوُوس) « بقافين ايضاً ثابتهما بالضم كالنون التالية » او (قَوُوس) . وأطال الكلام في قنوس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فريد الدين عطار^(١) في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطلق الطير^(٢) وقال ما هذا ملخصه :
يوجد في بلاد هندوستان القَنُوس^(٣) وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنه من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الفتيلة (amiant) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الايطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر راوا نائل الخامس عشر لليلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .
(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩-١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttair, ou le Langage des oiseaux' poème de phil^{١٠} sophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥ — ٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦-١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .
(٣) قنوس بالفارسي وقنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبه لكل منها صوت وفي كل صوت مرة خاص . فاذا صوّت بانغامه تحركت الطيور والسمك وسكنت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلّم من صوته علم الموسيقى . وليس للقمّس أنثى فيعش منفرداً ويطول عمره ألف سنة تقريباً وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حواري نفسه اوراق مُثَقَل و بصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثيراً كثير من الحيوانات . وفي أوقاته الاخيرة يحرك أجنحته وريشه فتسبب هذه الحركة نارا تحرق الخشب والطارئ و يصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قمّس صغير .

واستدل فرید الدین عطار بهذه الحکابة على استحالة الفرار من الموت مها كانت الحیل التي دبرها الانسان .

وحکایة فرید الدین عطار ادرجها میر علی شیر نوائی في منظومته بلغة چغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها ققنوس ^(١) .

يتضح عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية ان القمّس والقنّس والقوقنس والقوقيس وما اشبه ذلك في الحقيقة شيء واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(١) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cyenus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوز الا انه أشد منه بهاضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يضرّب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شیر نوائی في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بلبينغراد سنة ١٩٢٨ م ص ٧٣ — ٧٤) .

ولم يزل بضرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون^(١) انه عند الاحساس باقتراب الموت يصوت بالنغمات العجيبة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائع ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القفنس» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائعة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق^(٢) للقاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨ م حيث قال المؤلف ايضاً لتعريف العرضي اللازم : « واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود الزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمى قفنساً^(٣) » . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطوطاليس فاقصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) « من عادته ان يفرّط لا سيما اذا اقترب من الموت » .

(٢) هو كتاب كاد مجهل تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقراء في الازهر . وبقروءه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجد ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطالعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة القفنس وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القفنس هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالاطالية

ان الساوي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زماناً »^(١).

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiniks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالابطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها^(٢) فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جمعه بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية^(٣) عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتى النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتحريف ان كتبه العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس او فنقس) و (kyknos) (قونقس او فنقس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا فوقنوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بته في كتابه في الحيوان .
(٣) اقول هذا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فونكس او فونكوس فلو أخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونفخس او فنفس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء نقرية بالسريانية . انظر نص برهلول السطوري المذكور آنفاً .

عند القدماء في شأن طائر ين مختلفين أحدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً .
وعلى كل حال فإن الفقه نَس المذکور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من
كتب اللغة وإن نقل به حبيب أفندي بسترس لفظ (phoiniks) لما عرّب ترجمة
(Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس^(١) وأظنه الصكائب العربي الوحيد الذي
استعمل كلمة فقه نَس .

والذي يجب إدراجه في القواميس العربية بدل الفقه نَس اثنان : (١) فَوْقُ نَس أو
فُقه نَس وهو (kyknos) اليونان . (٢) فَوْقُ نَس أو فُقه نَس وهو (phoiniks) القدماء .
ومما أراه أيضاً تصحيف فوق نَس أو فقه نَس (kyknos) ككتاب لم يذكرهما الجوهري
المتوفى في آب سنة ٣٩٣ و ٣٩٨ وإنما فیدهما المتأخرون من علماء اللغة أو الخبيريون بعلم الحيوان .
الاولى منهما فوق . قال ابن منظور الأفرقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في
لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل لحم الجسم
والشد * كأنك من بنات الماء فوق * » . وقال هذا أيضاً السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ بزيادة « عن
الليث »^(٢) قبل « والشد » . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من
طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر . أثي طويل العنق قاله في العباب »^(٣) .

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم
من الفرنسية بقلم . . . حبيب أفندي بسترس . بيروت سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ م .
(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش
في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ولا أعرف هل أصاب صاحب تاج العروس
بزيادته هذه .

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصغاني
(أو الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ — ١٢٥٣ م) . واشغفه بالزيادات على
كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون ولبس لها أصل سوى التحريف
أو التصحيف كما دلّ عليه الأستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً .

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب المخلوقات .
 ان وصف هذا الطائر يناسب الققنوس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولا سيما
 الدميري على هذا الوصف بغير ادنى إشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته — يدل
 على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالفوقنس (kyknos) .
 فالارجح ان المراد بالقوق هذا الطائر .
 اما الكلمة الاخرى التي أظنها ايضاً تحريفاً أدخل خطأ في بعض معاجم اللغة
 فالمقوقس حيث يزعم انه امم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب
 ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .
 قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوق طوقاً سواده في
 بياض كاللحم) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة
 كلامه في قصة المقوقس المصري الشهير اقتصر على ما وجدته في القاموس فيما يخص الطائر
 قائلاً (ج ٢ ص ٢٧١) : « المقوقس طائر معروف مطوق سواده في البياض كاللحم » .
 فالغالب على ظني انه من تحريفات فوقنس (kyknos) ايضاً .

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (فوقنوس) في كتب طبية عربية
 تسميةً لأنواع خاصة من الشياقات (اي من الادوية للعين) وان املت كتب اللغة
 هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمى أطباء اليونان أنواعاً من الشياقات (kyknos) تشبيهاً
 لبياضها ببياض الطائر فاتخذ كحالة العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه فوقنوس وهو
 مذكور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى
 سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعتنى بنشره وترجمته الى الانكليزية
 وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٧ و ٢٠٨ —
 ٢١٠ من الاصل او (١١٩ و ١٤٢ - ١٤٠) من الترجمة .

كارل نالينو
 عضو المجمع العلمي العربي

رومية :

—•••••—

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبد الله بن جبير النصراني
 قالا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت موءامرة لابن حبش العماني
 وكان يتقلد الذاب ونهر سابس (١) في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ
 ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان الزم خمسة وعشرين الف درهم
 من ابواب صحيحة وطولب باديها واخذ خطه يصححها (٢) فصحح خمسمائة
 واربعين طول المدة والظ (٣) بالمال . فقيد فلم ينزع وضرب سبع مقارع فلم
 يوءد . وكان اذ ذلك اذا خرج بالسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من
 المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال
 فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجهل
 منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم
 تأخذ اصل الارتفاع فانا ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن انشدت
 فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلك . ولكن بعد ان كشف
 للوزير صبرك على المكروه فلا تتصرف والله في ايامه ابدأ وبذهب خبرك .
 قال فقلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليوءدي الباقي .

« ١ » « م . ع » : بضم الباء قرية بواسط اضيف نهرها اليها . « ٢ » « لعله :

يتصححها . « ٣ » « م . ع » : اي ججده .

فما روحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن الفرات يقول فاضطرت الجبظ احد العمال على مواسرة قد عملناها له وكنيت انا واخي جعلنا نأخذ خطه بباب باب فلما كثر ذلك قال لي سرأ ليس الشأن في الخط . الشأن في الاداء . ستمعلمون انكم لا تحصلون على شي فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه فقال له اعد علي ما قلت فاضطرب فقال لا بد ان تعيده فاعاد ذلك فقال اذا لا تبلي والله بعدها عملاً ابداً قم عافاك الله الى منزلك . خرّق يا غلام الموماسرة قال فخرقت في الحال وانصرف الجبظ الى منزله فما صرفه عبيد الله بعد ذلك وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخدامه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا ابو العباس بن الفرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد بان مغنية من جوارى بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذاك معطل بهذا الصوت فاستعاده وطرب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب حل خسام
لهفي على قتلى النباج (٢) فانهم كانوا الذرى ورواسي الاعلام

« ١ » كتاب الوزراء ض ٧٧ . « ٢ » « م . ع » النباج ككتاب قرية على عشرة اميال من البصرة وبها يوم تميم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ولجأهم حرماً من الاحرام
لا تهاكي جذعاً فاني واثق برماحنا وعواقب الايام
فانهى اسماعيل ذلك الى المعتمد وقال هذا يسعى عليك ويتمنى لك
الدوائر ويتربص بك فامر بنفيه الى مصر فكان مضيه اليها تنفه .

حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل
الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القناني (١) الكاتب قل
ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قد خلفه دفعات على ديون
الخراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالاً جلية من العمالات والدواوين
منها ديون المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الخراج والضياع العامة بالسواد
وما يجري فيه وقد رأيته وتعلمت بين يديه وسمعته يتحدث باشياء ولم اسمع
هذا منه قل سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد
الى ابن طولون لما نفي اليه - عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال
لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى ناداه وصار
يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد فمظم عليه امر
السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طواب ابن طولون بحال الوظيفة
التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني
الموفق بطابني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

« ١ » « م . ع » : كذا في الاصل ولعله القناني فقد قال ياقوت : دير قنا من اعمال
النهر وان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قناني وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القناني

فان الامور اليه والجيش معه وان منعه المال قصدك وحاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ما اشار علي بهذه المشورة وانما هو دسيس على ملكي ليأخذ البلدان مني لهم ويرهنني ويستخرج البلدان مني باللفظ . فشكر له ثم امر بالقبض عليه وحبسه فكان جباناً فلم يجب مع يحاشه له ان يفلت في وقت من الاوقات فدرس اليه في شربة فقتله بها . وجد الموفق (٢) وانفذ اليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اخاه (٣) لمحاربة المعتضد فتحارباً فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقي صديقاً وهكذا تكون محاربة الصبيان فالما جرت هذه الحال تقدم احمد ابن طولون على قتل الحسن بن مخلد وقال صدقني فلم اقبل منه واتهمته .

حدثني (٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي ناقد خادم ابي وثقته وكان يتولى نفقة ابي : ما رأيت اجسر من مولاي على اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوماً وقد لبس سواده ليضي الى دار المعتمد وهو اذ ذاك يتولى دواوين اللازمة والتوقيع وبيت المال فقلت له قد صككت (٥) علي البارحة المململين بالف وستمائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تحاطبني في هذه الساعة

« ١ » « م.ع » : دسيس فمیل بمعنى مفعول هو من تدسه لياتيك بالاخبار . « ٢ » « م.ع » : كذا في الاصل . « ٣ » الصواب : ابنه . « ٤ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٥ » « م.ع » : صك الرجل للمشتري صكاً . كتبه . وهو الذي يكتب في المعاملات والافاري .

اين كنت عن خطابي البارحة لاوجه لها وجهها ولكن اتبعني الى دار السلطان
 فتبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيى لوزير ودخل معهما احمد بن
 صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب
 بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استساف على رزقه شيئاً فمضيت
 الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستعظمت ذلك وعلمت
 انه ليس من الرزق وحملتها الى لدار وعرفته خبرها فقال لي أنفق منها
 ما وقعت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى
 للحديث ايام ودعا دعوة فيها صاعد بن مخالد واليه اذذك عدة دواوين وجماعة
 من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح
 ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب
 فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلو واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعته
 يقول اخوك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت
 تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال اليّ وانا
 اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال (١) فحمله مع
 صاحب بيت المال لينظم دستور الحتمة بحضرتي واصحح حكاياتها ونحن منذ
 عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر
 صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها
 الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

«١» عند هلال وجهت حاجبي الى الخازن .

ولا ما ألحجة فيها قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال يا أخي ابو بكر والله
 وقع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرته يجب
 أن يكتب في الختمه وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا
 ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما
 تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقل لي سليمان بعقب هذه
 الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شيئا الا ما عمله ابي الفرات في وزارته الاولى
 فانه نصب يوسف بن فنحاس^(١) وهارون بن عمران الجبهذين فلم يدع مالا
 لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صح من
 مال المصايرين وغيرهم ممن يجري مجراهم لا أجراه على أيديهما دون يد
 صاحبي بيت المال العامة والخاصة^(٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كاتبه يحاسبهما
 ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض
 عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى مؤنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه
 انه حوسب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من
 كيت وكيت حتى استغرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل
 الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو
 والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

«١» م.ع : في تاريخ الوزراء فيجاس . « ٢ » م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم
 ان المال يوهن ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة .

وخمسمائة وستة واربعون^(١) درهما وامر بقبض ذلك منهما وإيراده بيت مال العامة^(٢) فقبض مؤنس منهما تلك البقية ومضى الأصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه^(٣) نحو الف الف دينار فان ابن القرات فاز بجمعها^(٤) ولم يقيم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدووين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بختمتهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن القرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا^(٥) ان ابن القرات أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضراني حسابا مبتورا ذكر انهما وجداه فرأيتهم غير منتظم فلم أزل أرفق بهما الى ان أقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاه مائة الف درهم فجعلتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليهما وأخذت بهما خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذهما من يدي وسلمهما الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن القرات

«١» م.ع ؛ الصواب واربعين ليتسق الكلام . «٢» م.ع ؛ في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع ؛ كذا في الأصل ولعله يتعاودونه اي يتداولونه بالعد او التخمين «٤» م.ع ؛ لعله بجمعها . «٥» م.ع ؛ في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هذا كله مسروق والقوم معهم حجج بالبراء وما عليهم طريق وابن الفرات كان أجلد من ان يدع هؤلاء يفوزون بحجة من المال فردهما الي وقال اجتهد في ان تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لا يمكن ذلك فقال اعمل على انك طالبتهم^(١) بمرفق لنفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا فعلت هذا فاي شيء أعمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزهمها مائة وثمانين قال فخرجت وجددت بهما الى ان ألزمتها ذلك وأخذت لنفسي منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أخذنا بها خطوطهما وأخذنا لهما خطه بالبراءة من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس في كل أمر موضعاً^(٢) لا يقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الى حضرته وانا في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أزيل عنكما تبعه ان لم ازها بقيت عليكما وعلى ورثكما ابد الدهر لست افعل هذا الا بشيء يقرب لا ضرر عليكما فيه وهو اني احتاج في كل هلال الى مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر الى الرجاله ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا الثاني وأريد ان تسافاني في أول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ترتجماها من مال الاهواز في مدة الشهر فان جهنزة الاهواز اليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما^(٣) أبداً واقفاً لا ضيف الى هذا المال الوظيفة التي على حامد التي^(٤)

١٩٠ م ع : كذا في الاصل والصواب طالبتهما . ٢٢٥ بالاصل : الرئيس في كل موضع . والصواب عند هلال . ٣٣ م ع في تاريخ الوزراء سلفاً واقفاً لكما الخ .
٤٠ بالاصل : الى ان . والصواب عند هلال .

رد في أول كل شهر وهي عشرون الف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط الاول من النوبة فيخف عني ثقل ثقل فتأبيا ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يفي بهذا الا الوزير أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلمه من التجار على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل (١) عشرة آلاف دينار بربح دائق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفسان وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس وهارون ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لأنهما ما صرفا الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان لا يرى صرفهما ليقى جاه الجبهة مع التجار فيقرض التجار بالجبهة اذا دفعت الضرورة ومتى صرف الجبهة وقلد غيره (٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابوه مغنياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابه الكاتب قال حدثني أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن ابيه عن الفضل بن مروان قال كنت أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كساكسية (٣) النصاري وخفاً أحمر

«١» م . ع كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . «٣» م . ع لعل الاصل ولم يعامله او . ووقف امر الخليفة . «٣» م . ع : كذا في الاصل . ولعله كاكسية .

وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بعمل مهم قد طلبه الرشيد وأنا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولا مني صاحب الديوان على تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه وقت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك طابت فتانا على تقصيره أولاً ثم أقبل علي وقال يافتي كننا نعد الصناعة نسباً والنعمة نسباً وللغة نسباً والنحلة نسباً .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطائي قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون على ديوان الضياع قل ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حديثي اتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلاً وكان له خادم يشرف على مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهماً في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهماً وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلي فعرفه اني لا آكل فامر ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة على منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملاً وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلاً جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

«١» م ع : أيس يأيس بغير همزة بمعنى يأيس .

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم أخرى فقال هذا كثير ولكن أربعة دراهم فأيسر من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتعالت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتعلمت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك أول اقبالي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد المخلوع قد صرفت ما كنت جمعه من "١" ضياع وإساتين بالبردان "٢" وهاهرت بعض تنائم "٣" واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم منصرفاً من صيده مسرعاً وليس معه من اصحابه كثير "٤" احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احد وجوه القواد وكان لي وعد على عامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعاماً وفيه جداء وحلواء وفاكة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قات لم لا اخلف "٥" على هذا القائد وضيغه عندي على هذا الطعام المعد قال فكلمته وسألته النزول عندي فجاب ونزل واكل وشرب وانفذت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسط بين يديه وخدمته

"١" الصواب في . "٢" م. ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .

"٣" م. ع : كسكان جمع تاني وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع

من مجلة التجمع العلمي . "٤" م. ع : كذا في الاصل . ولعل صوابه الكثيرين احد .

"٥" م. ع اخلف عليه . عوضه ولعله اخلف بمنى اقسام وهو الاظهر .

فنحن لشرب اسب (١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدر فسرقت حينئذ انه اخو الخليفة فهبته فبسطني وسألني عن شرح حالي فبعرفته فقال لا بد ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبتني ودخلت معه الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم تزايدت حالي عنده الى ان جمع لي جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان الحراج مضافاً الى كتبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي كنت عليها مع هرثمة قل ابو الحسين ما رأي (٢) في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد (٣) الوزارة لديوان الحراج وديوان الضياع — احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان وصادره المعتصم على اربعين الف الف درهم فاداهما بغير مكروه . وسمعت حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرائيل قال حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجمل من وزير يطلب الخليفة منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطعمه في نعمته وانه يدفع النكبة مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم وانا وزيره استخلفني على سر من رأى واستخلف بحضرته محمد بن الفضل الجرجاني (٤) فلما عاد طمع في فقال لي قد وردت والمال (٥) والجيش مستحق

«١» لعله : اذ أتى . م . ع الظاهر انه اثبت الجيش اي تفرق .

«٢» لعله رؤي .

«٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .

«٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك ففعلت فلها مضي شهر طلب
مني على هذا لسبيل خمسين الف دينار ففعلت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل
هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعده بهما وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليه
فبلغني عنه انه قال لابنه الواثق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو
ذا يتصدق علي به تنفاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذ منه اربعين الف
الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الملك التوارخي
وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب
الزجاج ويعظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضل بن مروان
فذكر بحضرته في ايام الواثق عظم بناء احمد بن الحبيب بسر من رأى وانه
استعمل في سقف دهايز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساحة عظيمة
تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا
غلمان ولا جوار ولا مفاخرة بمروءة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير
ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتعهدي وقد وليت المأمون ديوان الخراج
فوجدت الاهواز قد اختلت يثيق اسوء (٥) ابطل العمارة فانفقت عليه مائة

«١» م.ع عدى احتال بنفسه على جد قول الحماسي :

اذا ماأنت من صاحب الك زلة فكن انت محتالاً لزلته عذرا

«٣» م.ع الظاهر ودافعه . «٣» م.ع الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسرائيل
اراي عن الفضل . «٤» م.ع لم نعتز على القارية بهذا المعنى . «٥» م.ع الظاهر ان
الاصل يثيق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كور الاهواز اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قل سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيى بن خاقان مع المتوكل ان اياه يحيى بن خاقان بن موسى تقلد ديوان الخراج في ايام المتوكل فقلد ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلاً لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهلها مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضاها (١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فاني قبولها وطرحها (٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسر من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى وسألوه مسأله لما ظهر من اختصاصه به ونفاقه عايه فخطبه في امرهم فتذمر من رده لانه كان يعمل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لايه وجعل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فحمل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لأخذ على معروفى ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية أحبوا مهاداته

«١» الصواب امضاها . «٢» الصواب وطرحوا .

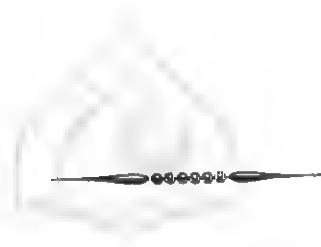
«٣» لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا له فرش بيت ارمني ببساط عظيم ومصليات والنخاخ (١) ومساور (٢) ومخاذ (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قط مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه واكل المتوك كل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يمرض عليه فمرض عليه البيت في جملة اجيائه به من ارمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل لعل هذا مرفق لايه فقبل له ن ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين مرضون عما هم علي والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتاج الى كاتب يكون بين يديه في ابلتيه والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م. ع في انسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي معرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م. ع جمع مسور ومسورة وهي مشكاً من آدم وهي المساند . «٣» م. ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» م. ع بربروي . «٥» بالاصل ابو . «٦» م. ع المعروف نقر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني . «٨» م. ع هكذا في الاصل .

ابن مروان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيى بن خاقان فحين
مر على سمعه ذكر عبيد الله ذكر حديث القرش فاختره ولم يزل حاله يرقى معه
الى ان استوزره .

« للبحث صلة »



المحاضرة الاولى

(١) الادب

« أفقه . فعله . غايته »

فكرت في شيء من الكلام أهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب . لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الا ألية يتلاهي بها العقل ، لكنها ألية شريفة لا تشبه غيرها من الآلاهي ، ما ينبغي للأدب ان يكون الا لذة الفكر وراحة البال . فكرت في شيء من الكلام أستمعن به على الاستملال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونيتير Brunetière » في اول محاضرة من محاضراته : لعلكم تعرفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها . فلنشرع في حديثنا الاول دون افاضة في التمهيد .

قلت : الأدب ألية ولكنها شريفة . واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد . فحق أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علما مقدار اتساع أفيائه وانبساط سلطانه .

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :

اني أحب معجمات اللغة . فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة ولكنني احبها لانها تحتوي على شيء جميل نغم . انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة او الف ومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو المجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة . وقد عرّضت مجلة المجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة .

وافكار اجدادنا وافراحنا وفراحهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم . لينظر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم . لينظر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من العواطف كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . لينحس في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشر ودمها وروحها .

اني احب ان اقتبس قول اناتول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناتول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادر كنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألوية شريفة لا تشبه غيرها من الالاهي .

* * *

كنت أطالع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة قيدتها في دفترتي . قالها شيخ ايطالي في حض فتي على درس اللغة اللاتينية :
« ان هذه اللغة الشريفة قد أنستني آثارها المنقطعة النظير آلامي وشجوني في معظم الاوقات . كنت باسيدي أغدو وماغدائي الا صفحة من «تاسيت» وتمعني وما عشتي الا هجية من «جوفنال» .

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب بفرج الغم ويكشف الكرب وينشيء في العقول لذة لا بعدلها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Ianson) رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلمه المرء علماً ولا بدرسه دراسة وانما يمارسه ويجرته ويحبه وصادق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احاسن افكارهم » .

ان الرياضيين — وانا اعرف طائفة منهم — الذين يلهمهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلية انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم مجردونه تجرداً و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جعلوه ابواباً . خلق الادب لينشيء لذتنا ولكنها لذة تروض قوا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغنى مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق اللمة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نتعبه في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقى هذه الجماعات وتغير اوضاعها . الادب هو الذي يتهدد النفوس التي اثقنتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المادة فيحملها على الاعضاء بالاسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضعف الدين في كثير من رجال العصر وبُعد أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الاستاذ (لانسوت) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها وكان الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحدوا ان ينهبوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا ثقيف الجمهور ثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يعنون بذلك ان الثقافة الادبية لان تكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب للذنه .

اراد احد شباب الفرئيس ان ينصرف الى الادب فسأل (فلو بر) عن رأيه في ذلك فقال له (فلو بر Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان أبين لك ان استثمار عملك امر صعب جداً ان لم يكن

ممنعاً ، انك لا تزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عملك ولا ترج ان تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما كتبت ، ثقيل طريقي فقد كان عمري سبعة وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .

لا نظن ان حياة ادب مثلي ناضرة بالازاهير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهمين ، اذا كان حبك للادب خالصاً فحصل الادب لنفسك قبل كل شيء واقرأ كثيراً كتب (المدرسين) وروض فملك على كتابة اشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها .

علما (فلوري) ان نحصل الادب لانفسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفد من الادب ، اذا كننا نلذخي الكسب في تحصيل الادب انخط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اننا نحصل الادب لذوق الحياة ، اننا نحب كما كان الشيخ الايطالي يحب آثار اللغة اللاتينية . اننا نحب لانه ينسينا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نحبها على طريقتنا في نزعة العقل كما نلذخي الورد والريحان على طريقتنا في نزعة البدن . اننا لا ننزله لقطف الورد ولكننا ننزله لترويض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لنعيش به ولكننا ندرسه لترويض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس . لكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورد والريحان على سبيل النزهة .

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هذا قبل ان يتأكد عندي اننا ادر كننا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اثق باننا علمنا ان الادب انما هو : رياضة وذوق ولذة لا تنفرغ له لغرض من اغراض

الدنيا فهو اجل من ان تكون غايته الكسب وانما نمارسه لندرك به جمال هذا العالم انما نمارسه لنفرج به غم هذه الحياة . يقول انا تول فرانس في هوغو سيف معرض النقد : عاش فيكتور هوغو ثملاً أسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التعبير قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الغاظه فهو نزهة عقولنا ونعم النزهة يشخذ الطباع ويصح النفس ويممر الصدر . اني لا اري اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط ناسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن ترويضاً لمداركنا من الادب . اي شيء احسن تهذيباً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر عاقبته المحمودة فهذا ناشئ عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحدبثنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعبقريته .

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الادبية . الانفراد بالرأي في الادب

ما أظن انكم نسيتم ما حدثتكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيتم أفق الادب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الأفق الفسيح يوطئ لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتاج خواطره من منبثق فجره الى يومنا هذا . اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب وبقف البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسلخ المرء من حيوانيته ويحاذي في جو أعلى من جو البشرية والادب هذا فعله في الامم . فاذا كانت غايته مجردة وثقافته خالصة نجع واثر: هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته . ما أظن انكم نسيتم شيئاً من ذلك .

غير اني أتوقع بعد ان يثبت لكم أفق الادب وفعله وغايته على سبيل الايجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان نقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق نذة الادب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الأفق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلتم لي شيئاً من ذلك لوقع القول مني ، وقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الأستاذ لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الادب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرعى فكركم الالتذاذ بالادب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الادب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهيئوا طرائق في التدريس وان تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الادب الصغار . ولكننا لا ينبغي لنا ان نذهل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الادب الذي لا يعنى بثمرة الذوق الادبي في تلاميذه ولا يستقبلهم الى ان يهتوا كل حياتهم في الادب عما يشعذ افكارهم ويسلهم عن همومهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هذا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرعى اليه لان نعد للطلاب جوابات الى يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفع بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخواثيم الحسنه اذا كان نقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تثقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بعد هذا الادراك .

ما أصح هذا الكلام ! ما أصقه بالحقيقة ! الأستاذ الذي لا يعنى بتثنية الذوق الادبي في تلاميذه لا يكون أستاذاً صالحاً ، ثنية الذوق هذا هو هدف الأستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحساسنا للقيج ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لحاسن العالم وقابحه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضعف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما نخط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، تعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، وتعرض علينا الآثار الفاسدة فلا ننقبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بمناعة الآثار وشناعتها ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها مانع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي يقوي فينا هذا الذوق .

تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الأستاذ ان يروض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الأستاذ في اللغة بالسهم الفائز وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله ادبياً ، اي لا يعرف اماكن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالدة فاذا خرج الأستاذ عن ان يكون أدبياً ، اذا لم يستطع ان يذوق لذة الجمال أعقم التدريس وأفسد الذواق ومتى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب على التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . سئلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمهيص والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتمموا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب او شاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيد لا يدربونهم على التفكير ولا يعودونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لا يستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف او شعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه في تدريس الادب والظاهر ان هذا النقص ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف ندرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نخوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا يزال اذا شرحنا شعراً نشوخي تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه والنتيجه على مذاهب الاستعارات والكتابات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد يولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا يولد فينا ذوقاً أدبياً اسي لا يقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي ننفرغ لدراستها تشمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلك على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن اهواء صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكره ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه يعينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب فان من وراء هذا كله اختصاصاً ينطقون ويشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها احطتم بطواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم بأسرارهم والغازم فعرفتم خصائصهم وطبائعهم واهتديتم الى اخلاقهم واوضاعهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن هذا يتبين لكم انه لا بد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح الشاعر وفي عواطفه .

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تفهيمكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس شاعر من شعرائه فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر في عصره والعواطف التي يعظها فاذا كنا مثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا ومألوساً في عصر ابي الطيب . يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي ، وفي نشأ هذا الذوق وكانت سلباً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور يزداد لدينا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا منفردين بامر البحث والنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية جامدة لا روح فيها . —

قال الاستاذ « لانسون » :

« اذا حاولت ان تصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخلص آراء من اولت بهم من الاساندة في هذه المؤلفات اشباه « نين » و « سانتيف » و « غاستون باري » و « برونزير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول مستندة الى عقل ان اخلص ما انشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما اخطرت به

ببالي من الآراء ، وما اهتمت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذ انه لا يستطيع احد ان يستقبل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور .

هذا ما قاله لانسوت ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلاء على المنبي مثلاً لزمنا ان ندرس شعر المنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه . بعض الاساتذة كالثعالبي والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المنبي وجب علينا ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينفو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بأرائهم في الادب . وعلى الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل اسية ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتغير آراء الناس فيه بتغير ذواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول فرانس : « ان مجيد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر صعب حرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كلوا واعيه ا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه يتبين لكم فني الادب واضطرابه نذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر الذين يريدون ان يذوقوا لذة الادب ، بالانفراد بأرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هذا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ، ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، فخلاصة هذا الحديث تثقيف الذوق هو الذي بضحي اننا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تمازج الشفافات

ما ارى حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكتاب او شعر الشاعر او خطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نحيط بروح المؤلف و بافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفاصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بيان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذاقلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في النقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة صرايمه والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تخطر بباله في ساعات تأليفه و كتابته ، فاذا كنا نفسر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبحث قبالة عيننا حالة عقله من مرقدتها ، وننعمش فكره وانفعالاته بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا نرى فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعاير جامدة لا روح فيها ، فاذا عاجلناها انتفضت من مدافنها فأصبحت صوراً ناطقة تشعر ونفكر .

كان يجب علي بعد ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب و ابي عباد و ابي تمام ، وانا لاشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا نجاهد لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشجع ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غرض والعنصر رطيب ، الا انه اذا كان يتيسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يتيسر لي الاهتداء الى كل الآراء ، والادب قد لبس في هذا العصر برداً قشياً فحدثت فيه حوادث وعنتت فيه عوائق ، ونهجت مناهج وسلكت مسالك ، فلما ندوحت لنا عن الانقباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس وما زالت الامم في قديم الدهر وفي حديثه يقتبس بعضها من بعض وقد تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحمودة في عبقرية الفكر .

لئن لفت قليلاً الى القرون الخالية فلننظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم ونقلوا طرائقهم ولننظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « سبتمبر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديد ادبها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسا من المعصرين المذكورين وقد كان « فولتير » يعبد الكاتب « اديسون » وكان « روسو » و « ديدرو » يعبدان « ريشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكسبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنسا متصلين بالاتصال كله « بولترسكوت » ومن « ميشله » الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنسا الذين نظروا في مصائر النوع البشري وحيهم من المؤرخ الالماني « هردر » وشاعر الالماني « غوتي » استنزل وحيه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنسا مثل « هولبير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولويون عن اقتباس أدب فرنسا وايطالية ومانية وانكلترة .

مالنا وهذه الاعجميات فلننقل الى ناحية اقرب . هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيد ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات .

معاذ الله ان ارمي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تنصل بماضيها لا تثق بماضها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نفخر به على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى سمجيس الليالي ، ولكن تجديد الادب في هذا العصر امر لا مندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لا يقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئت لثلوت عليكم صفحة كتبها ابو الحسن احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

بعقد فصلاً ابلاغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :

« ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول
للاخر شيئاً ، وندع فسول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا زمان ، ولكل
زمان منها رجال ، وهل العلو بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتاج العقول ،
ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الا آخر مثل
ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك مثل رأيه ،
وما نقول لفقهاء زماننا اذ نزلت بهم من نوادر الاحكام نازلة لم تخطر على بال من كان
قبلهم ، او علمت ان لكل قارب خاطر اربكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعا وحظرت مباحا
وحرمت حلالا وسدوت طريقا مسلوكتا ، ولو افنصر الناس على كتب القدماء لضاع علم
كثير ولذهب ادب غزير ولضلت افهام ثاقبة ولكت السنة لسنة ولما وشى احد خطابه ،
ولا سلك شعباً من شجرات البلاغة ولجت الاسماع كل مردد مكرر وللفظت القلوب
كل مرجع ممضغ » .

ما اتقن نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما هدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو افنصر الناس
على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب غزير ، ان عقل البشر ينسبط انقه من عصر
الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الافق واتساع هذا المجال
الفاظاً ومعاني لم تكن من قبل ، وينشئ الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويفرغها في
قوالب حديثة ، وعلى هذا يتنقل الادب من طور الى طور ويدرج من حال الى حال على
تعاقب الاحقاب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لاقى عليه حين من الدهر
لم يك فيه شيئاً ، لو تملص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً انسا
نجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تدفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب
تقرض ، ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احداً من معلمي دار يز :
« يسير العلم في سبيله سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
عنقوان امره ، وربان عمره ، فالعالم « ارخميدس » على نبوغ فضله وبراعته ، كان
يجهل ما يعلمه المعلمون اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تكليد من تلاميذ المدارس
التجيزية يعرف من العلوم اموراً يجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان » وبين

العالم « اثنتين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وثيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتنيه من العلوم سلطان عظيم على المادة معها اختلافات أشكها .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لأجبتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لا يخلو من التأثير في الفكر وبالادب كما اشرت الى ذلك في حديثي الاول تسفيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهير العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تخالط الام في هذا العصر وتغارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عقولها ، لرأيت ان الثقافات لاندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالام يأخذ بعضها عن بعض ويهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الام غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواصم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب لنضرب مثلاً لذلك .

قلت : لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تسره وتغويه ، ولذلك فانك تجد لغة النوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الام السامية عنيد فانه يحفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، اما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم يعيدون عن التجريد ^(١) .

(١) رأي الاستاذ « دارمستر » صاحب كتاب : حياة الالفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كلفرس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء إلى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن أن الفلاسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي .

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايي استنهاض هممكم للتقليد فاني من المتشدين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، إلا أن هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق لغتنا وأدبنا فاني أخشى إذا جحد هذا الأدب أن يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فإذا أخذنا في بعض الاقتباسات من ثقافات الأمم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقديماً استعان أدباؤنا بأثار من جاورهم وخالفهم فما نقصت مقاديرهم ولا خفت موازينهم ، فطلعوا على قومهم بأدب منقول الحواشي مهذب الاطراف ، على أني لا أقول بالمبالغة في الأخذ والاقتباس فإن ميراثنا الأدبي روحاً يجب علينا أن نحافظ عليه ، وأن للعصر روحاً مالنا منه فلت ، فالتأليف بين الروحين صقال الأدب ونموه .

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



فصح وشوارد

الارض متعلة : كثيرة الثعالب . وسرفة كثيرة السرفة وهي دويسة سوداء
الرأس وسائرهما احمر نخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دفاق العيدان على مشال الناورس تضم
بعضها الى بعض بالهايا وتدخله فتوت فيه ومنه المثل (أصنع من سرفة) .
ومشجولة كثيرة الاشبال . ومشاعة ذات شاو او كثيرة الشيا . ومفعاة كثيرة
الافاعي . ومفارة وفيرة كثيرة الفيران . ومغدة كثيرة الغدور اي الوعول الفادرة .
ومضبة وضبة كثيرة الضب . ومضغة كثيرة الضغابيس والضغوس ولدالثعالب .
ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقة كثيرة البق . ومحياة ومحواة كثيرة الحيات .
ومكابة كثيرة الكلاب . وموزة كثيرة الوز . وموحشة ذات وحش او كثيرة
الوحش . ومأوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومشورة كثيرة الثيران .
وسجردة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأسبع الطريق كثرت فيه السباع .
وأضب المكان كثرت ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .
وأرض محربة كثيرة الحرباء . ومسروة ذات سروء وهي البهوض من الجراد
والسمل والضرباب . ومظباء كثيرة الظباء .

* * *

وانتهج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجدد لزم
الجدد وهي الارض الغليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجدّد آمن العثار .
وحقّ الطريق ركب حافّة اي وسطه . وسمت : لزم السمّت وهو الطريق والمجبة
نقول خذ في هذا السمّت .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرق الموضع : جعله طريقاً يقال لا تطرقوا
المساجد — واللايل : جعل لها طريقاً . واستطرق الشيء : اتخذ طريقاً . وأجدّد
الطريق : صار جدّداً . واستنهج : صار نهجاً .

* * *

وعشّر الغراب : نعى عشرة أصوات في طلق واحد . ونَعَقَ نقيقاً ونَغَافاً : صاح غيق غيق . وقَطَطَ القطا نقطو قطوآ : صوتت بقولها قطا قطا . وفطقطت صوتت وحدها . وعندل العندليب : صوت ومثله وَطَّ الوطواط وبطبط البط وزرزر الزرور ونغنت الفاختة . وقد مأمأت الشاة والظبية مأمأة : وأصلت صوتها فقالت مُمِ مُمِ . ولغلق اللقلاق : صوتت . وكذا فقع القُفْعُ وتضوع الضُوع .

ويقال داهى القوم مداهاةً ودِهَاءَ اي أصابهم بداهية . وصَلَّتْهم الصَّلَاةُ : أصابهم الصَّلَاةُ الداهية ومثله ذبأتهم ذبول . وفقرته الداهية فقراً : نزلت به فكسرت فقار ظهره . وقد تَرَهَّ الرجل تَرَهَّاي وقع في الترهات . وأصبر : وقع في ام صبور اي الداهية . ودبلته الدبول اي دهمته الدواهي . وأفلق الرجل : جاء به لَمَقٌ فُلِمَقٌ اي بالداهية .

وأفلق الرجل : ألحَّتْ عليه الفتوى اي الآفات من جوع وفقر ودين . ونكبه الدهر اي أصابه بنكبة . وتتر فلاناً أصابه بوثر . وأفظمه أوقعه في اسرفظيم شديد . والألى الرجل وقع في اللأواء وهي الشدة والحنة . وأزى الناس : أصابهم الأزل اي ضيق العيش وخِطَوا . وأسَنُوا أجذبوا وأصله من السنة بمعنى القحط والجذب . وشتا القوم وأشتوا : أجذبوا في الشتاء . وثغبوا ثَغَبَا أصابهم الثغب وهو القحط . وأحمل الله الأرض : جعلها محملة . وأحطها أصابها بالقحط . وجرد القحط الأرض وجردها : جعلها جرداء . ودُبَّتْ الأرض : أكل الدبى نباتها فهي مدبَّوة ومدبُوة . وجردت وجردت : أكل الجراد نباتها — وجردت الزروع : أصابها الجراد . وبشّر الجراد : أكل ما على بشرة الأرض اي وجهها .

ويقال اكثأت الأرض : كثرت كثأتها وهي الخنزاب او الكراث او بزر الجرجير . وأقثأت كثربها القثاء — والقوم كثر القثاء عندم . واجملوا كثرت جمالم . وأشحم الرجل اذا كثر عنده الشحم مثل ألحم اذا كثر عنده اللحم . وأبَلت الأبل : كثرت . وأبَل الرجل : كثرت إبله ومثله أبَل اببالاً . ونعَقَر : كثر عُقارُه وهو

خيار المال والكلاء . وأَضَبَّ البلد : كثرت ضيابه . وأَثَلَّ الرجل : كثرت عنده الذَّلَّةُ وهي الضَّان الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة أو من الضَّان خاصة ولا يقال للمعزى الكثيرة نَبَلة ولكن حَيْلَة ، فإذا اجتمعت الضَّان والمعزى فكثرتا قيل لهما ثلَّة ومنه بنو فلان مُثَلِّون أي أصحاب غنم .

ورسَّ القوم : كثروا رسلهم وهو اللبث ما كان . وأزبدوا : كثروا زبدهم . وأزاتوا كثروا عندهم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الأبل القوية على السفر والاحمال . ونفَّض الرجل ونفَّض : كثرت ناضه أي دراهمه ودنانيره .

وأغزرت القوم : غزرت إبلهم وشاؤهم وكثرت ألبانها — وصاروا في غزير المطر وهم قوم مُغزِر لهم أي غزرت إبلهم وألبانهم . وقد أكثر الرجل أي كثرت ماله .

سالم خليل رزق

(النبل)



آراء وافكار

قوة الحافظة وكثرة المحفوظات

اذكر في هذه المجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين نؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين ونقلة الاخبار فاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والمكاتب الى ما في الحفظ من الفوائد والمقاصد فنشور محمهم الى اقتفاء آثار ادلك الرجال و يسرون على مناهجهم في حفظ ما يملية عليهم اسانذتهم ومعلوم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظة قوية فعرف قدرها وما اضاعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهاك بالاكل والشرب وباقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً .

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والاكثر من المحفوظات لأن العائق الذي يعوق غيرهم عن استئثار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » قد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصباب على حفظ ما يتلقونه من اسانذتهم وبذلك يحوزون شرف النبوغ في علومهم وبنالون مرتبة النفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتوفق لاستخدامها .
وانني قبل الشروع بذكر الحافظة وبيان محفوظاتهم آقي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — .

قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ما العلم الا ما وعاء الصدر

وقيل العلم في الصدر لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحدته بمسألة علمية بدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب .

معنى الحفظ — . يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول المحدثين عرض محفوظاته على فلان ، ويقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ما سمعوه وقلموا يسون شيئاً بعونه . و يقال حافظ من قوم حَفَظَة ككتاب وكتابة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة . و يقال رجل حَفِظَة كهمزة اي كثير الحفظ . ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً . ومن المجاز ايضا ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لسانه .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة ويرون ان النبوغ فيها غير متاح الا لمن يحفظهما باسانيدهما . وكان حفاظها يملونهما في مجالس لم يحضرها اولو العناية بها ويكتبونهما عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى الشريف المرتضى كتاب الغرر والدرر املاه في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ : اما املاه الحديث فقد استمر الى سنة ٨٧٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغانى والغزالي والزمخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في قوة الحافظة وكثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم على انفراده قد تضاهي بمجموعها وعظمها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرواس من خزائنه حافظة صفاً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزائنه اذ العقل يحيل ان نتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهِراً لها بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من الكتب المحفوظة في خزائنه .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها وكتبتها مما تضيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق ان كانت غير محفوظة له ان نتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما .
اهتمام ائمة اللغة بحفظ غريبها — . كان المشغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب نفح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجله بقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فانفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جنت فقال :

روعت عجوزي أن رأني لابساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع

قالت جنت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والنبوع

من الفرزدق صنة فثبتهما افي لما سن الكوام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن . واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجله بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن .

ما يجب على الحافظ مراعاته — . يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بمواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه .

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالبيغاء انطق بما تلقن من الكلمات ولا تفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه أنه كان يحفظ كتاب الروض للقري ولا يفهم لمساائله معني فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها ويحصلون منها على بنيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأ عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فثاء كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفيه بقوله :

حمار العنب ' ايش ' معناه حامل ' ثقيل الارامل :

غير متلذذ ' يجلواه وهو حامل الحمل ' باطل

وقال مروان بن ابى حفصة بدم قوما استكثروا من رواية الاشعار من غير نفهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم يجيدها الا كعلم الاباعر
لعمرك ما يدري البعير اذا غدا باواقه او راح ما في الغرائر
ومما يجب على الحافظ ايضا ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك . قيل الماصمي كيف حفظت ونسي صاحبك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروى عن سيدنا علي بن ابى طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة الهم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سور الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشي بين القطارين والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويتجافون عن اتیانها وان كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط النكث بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سور الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى ما يجب ستره واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيرا في الحافظة وهي البطنة ويقال لصاحبها البطن وهو الأثر المتبول ومن همه بطنه او الرغب الذي لا ينهي من الاكل كالمبطان فقد قيل : البطنة تذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ وينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والمخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السعوط والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبطل الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرفها بكايستها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياسة فان المتدهور سيفه هذه الهاوية السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لأظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في تورث النسيان — الهم ولا سيما ما يتوالى منه كل يوم على العائل المملق وما يعانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواح الفكر والفنك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقد نقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكتسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بها من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لائنال بالسعي ولا تدرك بالارادة .
لا يكبر على القاري تصديق ما سنورده في اخبار اقوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات اقله الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق تتخذ لها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثمارها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح وبساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد يحسن العقبي فلم يسلطوا على تلك الملكة ما يضعفها ولا قارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل تجافوا عنها جدالتجافي واعظم ما استعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردهم من حب الدنيا ومجرم المذات البدنية واثارهم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فذسوغوا بالعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكى ان ابا حامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيا كان يعيش عبثة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة و يعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام البيهقي كان له عمامة و قميص بيضاء وبين اخيه اذا خرج هذا فعد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابا نصر محمد الفسارابي كان قائماً باليسير من الرزق كان في اول امره ناطور بستان في دمشق وهو مع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضيئ على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لا يعتبره تصنع ولا يعرف السرور ولا أحوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرتهما نصف دينار في الشهر بقرنم به و يشتري منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوء ونجته حصير قصب وعليه ثوب خلق ولا يخرج من بيته الا يوم الجمعة وسيراليه المستضيئ خمسمائة دينار فردا فقال له أجمع لها الولدك فقال : ان كنت خلقتك ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لا يأكل الا البقول ولا يشرب الا قرب العصر مراعاة لحفظه وسياً في ذكرهما . ولوأردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المنقشفين في معانيهم وإشاراً للذة العلم على كل لذة لاتسع لنا المجال وأقصى بنا الحال إلى الملل .

وهنا أسرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبداً بنسطين سنة وفاة أحدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات : مقتصرأ على ذكر أشهر مشاهيرهم مضمراً عن ذكر من نقل عنه أنه كان يحفظ كتاباً أو كتابين فإن الإحاطة بذكر هؤلاء مما يملأ مجلداً ضخماً يجدر أن يؤلف على حديثه فأقول : (سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة أنه استنشد عمر بن ربيعة القرشي شيئاً من شعره فأشده فصيدته التي أولها :

امن آل نعم انت غاد فبكر غداة غد ام رافع فهجر

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه أحد الخاضعين بقوله : أنضرب اليك أكباد الابل تسألك عن الدين ويا أتيك غلام من فريش فينشدك سفها فقال عبدالله ماسمعت سفها فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيغزى واما بالعشي فينسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وإنما قال (فيضحي واما بالعشي فينسر) قال المعترض أو تحفظ الذي قال قال والله ماسمعتها الا ساعتي هذه ولوشئت ان أوردتها لأوردتها وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في حفظه قال ما قلت قط لمحدث أعدي « وما سمعت أذناي شيئاً الا وعاء قلبي » قال الامام احمد بن حنبل في حقه : قتادة عالم بالنفسير واختلاف العلماء ثم وصفه بالنقح والحفظ وقال قلما نجد من تقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها .

قلت لانجد ما شبه به آدمغة من عرفوا يحفظ ما يلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة كعبدالله بن عباس وقتادة وإبي تمام والمنني والمعري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا بالسماة او حافظة الصدى (الفونوغراف) فان ذلك القرص شبهه بآدمغة اولئك من جهة حفظه ما يلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استخفقت هذا الامم فقال لاني اروي لكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم ممن تعترف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الا ميّزت القديم من الحديث ، فقال له فيكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استخفاه ان يصدقه عنه و يستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف افاضل العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار المزهبيين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انافاري فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جاسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رفاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ ينذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظ فالتفت ابو عبيدة وكانت من جملة الحاضرين وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولا دخل قلبي شيء فخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرفاع وانا اعيد من حفظي ما فيها وما وقع بها الامير على كل رقعة منها فأحضرت الرفاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل ابق على نفسك من العين فكيف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث .

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة متى سمعها مرة واحدة ، واشد الجعري قصيدته التي اولها « أفاق صب من موى فأفريقا » وكان ابو تمام حاضراً لحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعين بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعين الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتنح حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوها متونها واسانيدوا وجعلوا متن هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسميها ويقبهاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يحيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى مننه فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل يفي حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذا كرمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فزيته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النخعي : قال ابو عبيدة معمر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملاً كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النخعي في مكتبته فربما استعار بعض الصبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقتضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبد الله فيقول له أقرأه علي فاذا فعل قال أعده ثانية

- ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك .
- (٣٢١) محمد بن الحسن بن دربد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فيسابق الى اتمامها من حفظه .
- (٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النخوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابو علي القالي — كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكيف تحفظ قال احفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها .
- (٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المنذبي : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المنذبي من يده وطلق بقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقراء فدفع المنذبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بثلاثه حتى أتى على آخره .
- وما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجوع على وزن فعلى فقال في الحال مجلي وظري قال الشيخ ابو علي فطاعت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجده لذين الجمعين ثالثاً فلم أجده .
- (٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى : قال النونخي في حقه : ومن الماتشيعين الذين شاهدناهم — ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغانى والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ارقط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبهرة ونصف من الطب والنجوم .
- (٣٥٦) اسماعيل ابو علي القالي صاحب الآمالى المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .
- (٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس ومجوم .

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه « قل للصاحب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصاحب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصاحب « هذا يكون ابا بكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه .

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالبديع الحمداني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهرها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبدالله بن حمدو به الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجتله في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجعفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان تحفظ هذا اضيق مما انت فيه .

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد اتواطات على وضعه فيجيب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه .

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرت منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سيما ان راويها ثقة معروف وهو الامير اسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها رجلاً علوياً فخالست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثها في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال هي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام فلانل عدة كتب وذلك اني افرأ عليه الكراسة والكراسيتين

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو علي ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت
فله له يكون محفوظاً قال سبحانه الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك
كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقة مجرد الوجه على عينيه قليلاً وهو
يتوقد زكاء بقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن يا ولدي
هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يجب ان تحفظ اليوم ما ينجذره لك فقال
ممعاً وطاعة فيختر ما يريد ، قال ابن منقذ فأخبرت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج
ويستزبد فاذا مر بشيء يحتاج الى تقريره في خاطره يقول اعد علي هذا فأردده مرة
اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد عى كراسة ثم قلت له بقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل
حرسك الله قلت كذا وتلا علي ما املئته عليه وانا عارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت
الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على
ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقبل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء
والثروة والغنى .

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده الضريز : قال في حقه
ابو عمر الطنكي — دخلت مرسية فتشبت بي اهلها لسمعوا علي كتاب (الغرب المصنف)
فقلت لهم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأناو برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من
اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجب منه .
(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجوبني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف
ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المذهب لابن بكر الصيدلاني
في مجلدات ويحفظ تفسيراً للعرب جميعه .
(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالغزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته
الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .

(٥٤٤) محمد بن مروان الاشبيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو
ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .
(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماني : كان يحفظ المجمل وشعر الهزليين واخبار

الاصمعي ورؤية والحجاج وذوي الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام .
(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الايوبي : كان يحفظ القرآن وكتاب
التهذيب في الفقه وشعر الحماسة .

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية المحببة سبغ
فن القراءات السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه
ويجلي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وفر بعير من العلوم
بجيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها .

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكنافي العسقلاني : كان يحفظ مخنصر الخرق في الفقه
والألفية ابن مالك والطوالع للبيهضاوي والشذور والمحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة وبحفظ
غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها على علماء عصره .

(٧٢٨) الامام احمد بن نعيم له من المؤلفات المفيدة ما يربو على اربعمائة كتاب كلها
كان يلمه من خزائنه فكره ويتعرفها من بحار معرفته وكان الناس يهتدون من كثرة حفظه
فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي .

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والألفية ومنهاج
البيهضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره .

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيرز آبادي صاحب القاموس المحيط كان سريع الحفظ
وكان يقول لا انا انما واحفظ مائتي سطر وما بدل على قوة حافظته اتيانه يردف لكلام
علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكاتبه (الصق
روائفك بالحبوب الخ) .

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التهذيب
لابي اسحق والفية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والفية
العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره .

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي
والارشاد لابن المقرئ والفية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

والشاطبية وكافية ابن الحاجب . الفية ابن مالك . الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزي .

(فريق من الحفظة الذين لم اهتد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب فتح الطيب : كان آية سيف الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقترحوا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي بأرق) وسمّاه قدنام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف .

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال سيف الشقائق النعمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للعضد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطبري .

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين النفثازاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لا يمكن ان يكسبها من حفظه . ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : سئني عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ما ذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ . وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه .

وهنا استوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء افوباء الحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بهان اسمائهم لضاعت عن جربه صفحات الحلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبتة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك الله) .

حلب : كابل الغزي

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية
« تأليف احمد شفيق باشا »

- تمهيد الجزء الثاني ص ٧٩٩ وملحقه ١٢٨ ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م .
 - تمهيد الجزء الثالث ص ٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص ٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص ١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص ٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .
- وكلها مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشارع
الدواوين بالقاهرة .

بلغ المؤرخ الاستاذ واضع هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ما توقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م ٨ ص ٣٠٦) وما أمنيته الا خدمة مصر وتاريخها . وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد ينقص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى « خطة الحياض في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض » وابتعد « عن الحكم فيها الا بما قضت به ضرورة البهانه متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة » « فما زالت علة التواريخ الزيف والميل مع الهوى » « وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نسيان عواطفه ووأد العوامل الشخصية وأدأ تاماً ، والتحرر من النزعات النفسية إطلاقاً حتى لا تصطبغ كتابته بما يشوش بهاء الحق و بغض من جمال الصدق » .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أضدره حتى الآن من مجلداته الستة المتمتع بمبحث لا يجتاز الباحث بعدها في تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادون من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقاتهم واعطاهم زبدة ماتم في تاريخ مصر السيامي . وحسب القاري ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائضاً فيها مع الخائضين قريباً كل القرب من
الاداساط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مناهره القديمة وقد نضج علمه وصحت
تجاربه . ولذلك يهنا على عمله المجيد الذي خلده به مجد مصر الأخير على صورة ترفع
رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي نشوء بمحمله
الجماعات وع الافراد . وانا لارجو ان تلبث همه كل اخصائي في علم من العلوم البشرية
في مصر والبلاد العربية ليقدم لامته خدمة كخدمة صدقنا احمد شفيق باشا ، اذا لامتلأت
الخزائن بنفثات الأقلام ونخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممتع ولماخونا امام أمم
الغرب بدؤوبنا وتسلسل اعمالنا ، فحونا بملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء
برمهم ايانا بوناء العلم افراداً وجماعات .

م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة اعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) » مطبعة المعارض بيروت

رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من
قار بر خمسة وضعها اللجنة الادارية — واللغوية — والجغرافيا والتاريخ — والخطوطات
ورأي رئيسه وبعض اعضاءه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود النقار ير التي
لم تنفذ بعد ولننظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال .
وقد استندنا منه ان في مكاتب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦
مجلداً و ١٩٨ رسالة . في الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و ١٣٤ رسالة . وفي مكتبة
الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و ٤٤ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و ٢٠
رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي
كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والداكر والقر والمزارع وعدد النفوس والمذاهب
والانهار والينابيع والجبال والمناجم والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن
الآثار واهم الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية
الاقتصادية عدا أماكن الاصطياف ومواردها التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المجمع قريباً وان يشرع المجمع الشقيق سيفي القاء المحاضرات العشر التي اعدّها لهذه السنة وهي مهمة في بابها ولا بأس بان نلّفت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان المجمع التي ذكروها في العراق ومصر (بل وشرقي الأردن) لم نعد حد التأسيس بل حد الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة نقرّ بها عيون العرب والعربية .

م . ك

سيد قريش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤوط »

قال ابو العباس النامي في المنبهي والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المنبهي ، وانا لما قرأت (سيد قريش) واجتاحت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجاهلاء ، خطر ببالي ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤوط ما قاله النامي في المنبهي : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤوط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف ونجّح في ساحتها ، فبأنه وفيها ، فما نكرت جانبه ولا نكرت جانبها ، أعطته كل ما ملك ، واعطاها كل ما ملك ، أعطته صوراً هامة فأحيّاها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، وألواناً جامدة فصفّأها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الألوان ، فارجع الى اي فصل من فصول سيد قريش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روعتها ، فاختر لنفسك ما شئت من فصولها في الفساسة والمناذرة ، والقياصرة والاكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم تفرّجه فارجم الى فصلها في شاعر الفساسة ، انك تجد دمشق في ربّما الطلق تهش بك ازاويرها ، وتضحك اليك رباحينها ، فاستظلّ بهذا الظل الخضل ، وان كان في عينيك بقية دمع لم تذرفه ، فارجع الى فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، بصطنعمونها في تأييد سلطانهم ، فينقأ نل الحارث الغساني ، والمنذر اللخمي حتى يتبسط قبصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في وطنك فارجع الى فصل الوطن في البداية ، انك ترى البدوي يأبى ان يسكن دمشق وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن .

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ماهو سحر العبقريّة ، وتذكر الفرق بين كدّة التاريخ ونضارة الفن . لقد وضّح الاستاذ معروف الارناؤوط حياة العرب قبل الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداه اليه التاريخ ، وعلى قدر ما أوحى اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال الرواية ، هذا هو السحر الخلال الذي يروك في سيد قر يش .

« شفيق جبري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الخليفة) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء حلب : اولهم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ . وهذا الديوان لم ينشر ولم يطبع بعد . والثاني ديوان فتح الله الفخاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ . وهذا طبع وتداول . والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك الباني الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وقد طبع ايضا والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطعمه : (بآبي وا بآبي وا بآبي جرعة من ماء عين الذهب)

وقد ذهل قائدك في جغرافيته (المرأة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى الباني الحلبي هذا الموشح بآبي الخ » والباني المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين عن الاندلس بنحو (٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين التي في الاندلس . وناسر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو مجمعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) .